هناك
هنا
وأنا

شعر

ليلى كوركيس

شعر

ليلى كوركيس

هناك هنا وأنا

تاليف
ليلى كوركيس

لِـذِكراكَ.. أخي!

أدركُ أنكَ تراني.. وتسمعني.. وتقرأني
من فوق.. من مكانٍ ما!
إليكَ أنثرُ كلماتي..
كلمات تلك الطفلة التي عَرفتَها..
كلمات المرأة التي أصبَحَت..
يرافِقُها طيفُكَ أينما حلَّت
وتُلهِمُها روحُكَ مرفرفةً،
كلما ضاقت بها المساحات
وفاضت من مقلتيها
صلواتُ الأرض والسماء
ليلى

من تكون تلك المرأة؟!

من تكون تلك المتوجة بإكليلٍ نصفهُ من الغار

والنصف الآخر من رماد؟!

من تكون تلك الشجرةُ المدفونُ نصفُها تحت الأرض والنصفُ الثاني يتنشَّق الفضاء ويتدلى منه أطفالٌ، رجالٌ ونساء؟!

من تكون تلك الإلهة المحتجب نصفها خلف الشمس والنصف الناطق تحت مطرقة من سمّوا أنفسهم

"غير كفار"؟!

من تكون تلك الهالة الممتلئ نصفها المقدّسُ بالنـِعَم والنصف المُرتَعِش يغتسلُ بخطايا العالم؟!

من تكونُ تلك الأمّ الممزّقُ نصفُ ثوبها ظلماً

والنصف الثاني يقطر عرقاً ودموعاً؟!

من تكون تلك التي رُجِمَت وجُلِدت وصُلِبَت ودُفِنَت

في حجابها وفي ما يُسمّى "سفورها"؟!

من تكون.. من تكون تلك النفس الطريدة الغريقة

في بحور فردوس تستحمّ فيه الأكاذيب؟!

أتكون جسدَ صخرةٍ هزمتها المشاعر أم موجاً عاشقاً حالماً يتوسّد الرمل ويتطهَّر بقيح الشمس عارياً؟!

هي الزنبقُ حين يخدش صوتُ التجربة المؤلمة

جناحَ الصمت.

هي معصيةُ اللغز حين يحارُ "هو" بجبروتها وعنادها في عشقها.

هي الطوفانُ حين يجفّ طينُ المشاعر

وتتشظى الأرضُ بالأحقاد.

هي كلّ المساحاتِ حين تنعدمُ الأمكنة

أمام اختناق الحسرة في الأفواه.

هي عباءةٌ بيضاء لغابات من الأحزان،

لبست الحداد طويلاً على ثورات وأقوال وأبطال.

هي ما عُلِّقَ بين الأرض وسطح السماء فكانت فضاءً تتمرّغُ على صدره أماني الساعات الأولى والأخيرة.

هي إيقاعُ الحياة في نبضها..

هي ما تـمَّ وما سوف يتـمّ.

من تكون.. من تكون تلك المرأة، حوّاء الصاعدة كالدخان من فانوس عجائبِ العصور..

أنثى ماردة أهلكتها الأقدارُ ولم يهزمها كل ما سُمّي بالمقدّسات.. فكانت هي نبيةً قبل الأنبياء وإلهة يولد منها الوجود كي لا يُعدم.

كوني يا امرأة اليوم وكل يوم، كي نكون**!!**

لأنني أنثى

حملتُ العالمَ في أحشائي
رَسمتُ الكونَ لي جسداً
لأنني أنثى
..
دفنتُ الجمرَ في رمادي
تَدَحرَجَ قلبي على الجبال
وتحت رمالِ الصحراء
لأنني أنثى
..
عاشرتُ الآلهةَ في حروبي
ضاجعتُ الأساطيرَ في خلودي
لأنني أنثى
..
سامحتُ كل عُشّاقي وأطفالي
ورثتُ فلسفةَ الغفران في أسفاري
لأنني أنثى
..
قصَصتُ..
بأني الطوفان
أحملُ "نوح" على كفي
عبور البقاء في إبحاري
وبأني أرضٌ وسماءٌ
وآياتُ الكون في أهدابي
..
و.. شجرةً عاريةً امتشقتُ

التَهَمَ الطغاةُ أوراقي

..

لأنني أنثى

كوني امرأة

.. فكنتُ وحلمتُ
في زرقةِ بحركَ سبحتُ
اجتاحني موجُ أحزانك
في عمقِ المحارِ غرقتُ
..
نسيتُ "أهلي وبيت أبي"
كاهنةً في حكمِ الهوى ارتسمتُ
وكبرتُ..
فاضت عن عمري الجراح
وشاخت على جبيني القصائدُ
فهجرتُ..
أُلملِمُ أشلائي الخائبةَ والأسطرَ
وعلى صخرِ بيروت ارتميتُ
...
أرادتني امرأة فكنتُ
وبجنون حبكَ ذُبِحتُ

همساتٌ خافتة

أمسحُ قلقي
بابتسامةٍ من عينيكَ
وأتلو في قلبي صلاةَ التوبة
عسى الله يصدقُ
أنـي أُحِبّك
أكسرُ مرآتي
أمحو كلّ الوجوه
أضمّدُ طعناتـكَ بهمسة "أريدك"
أخونُ كبريائي
وأستسلمُ لِدَجَلِ يديكَ
..
أصطنعُ الفرح
صدّقتُ يوماً
أنّ الرجلَ في موطني قوي
أنّ السيفَ أخٌ له
صدقتُ يوماً أني امرأةٌ
أن أنوثتي أختٌ لي
طَعَنَ السيفُ أنوثتي
ضاعَ موطني
وضعتُ أنا

سامحيني

لو حَطَّت على هُدُبكِ لآلئُ حانقةٌ
وصعدت ظلالُ دربي إلى السماءِ قبلَكِ
.. سامحيني..
لو هدأت كلُّ العواصف من حولِكِ تائبةً
وظلّ صوتي يرعدُ ويبرقُ متوعِّداً كأرعن
.. سامحيني..
لَو أردفت السطورُ لعناتها مراراً
وبَصَقَت بوجهي ما اختبأ بين أفيائها..
وأنا لم أفهم
.. سامحيني..
لو غرقتِ مثل بيروت للمرة الألف وقمتِ
ولم ألتقط يدَك ولا خصلةً من شعركِ
فـ.. سامحيني
إني يا غاليةً رجلٌ
والرجلُ لا يفهم معنى الربحِ إلا
باستلابِ الأقدار عن جبينِ امرأةٍ
وباختناقِ الأمطار في عيني امرأةٍ
وباحتباسِ الكمد على وجنتي امرأةٍ
..
إني يا غاليةً رجلٌ
والرجلُ لا تستوقفه خسارةُ امرأةٍ إلا مُرغماً
حين يُـلَملِمُ الليلُ خيوطَ عَتمتِه مستوحداً
حزيناً
منكسراً
..

إني يا غاليةً رجل

والرجلُ يُجيدُ ابتلاعَ ذاكِرَتِهِ

كلما أزاح الستارَ عن تمثالٍ جميلٍ

لعرضٍ جديد

في عصرٍ جديدِ

..

إني يا غاليةً رجلٌ

والرجلُ يبعثرُ وجوهَ النساء

يعتلي المنصاتِ على صبرهن

وأحزانهن

وحُرقتهن

..

ثوبُ الـ أنا لم يلبسه البسطاء

ولا الفقراء

ولا النساء

..

ثوبُ الـ أنا تتغَطرسُ بِه

قلوبُ الرجال

وعقولُ الرجال

وأعرافُ الرجال

فسامحيني..

لو صعدت ظلالُ دربي إلى السماءِ قبلَكِ

سامحيني.. سامحيني لن أسامحكَ

لَو أشعلت السمواتُ ظلالَكَ مُسْـتَعِرَةً

وأَسقَطَت لآلئها على الأرض منتحبةً

.. لن أسامحكَ..

لو "زَوبَعَ" الليلُ خطواتِكَ صوبي مبتهلاً
وفي زواج سرّي تلاحم الرعدُ مع العاصفة
.. لن أسامحكَ..
لو تراصت سطورُكَ أفياءً فوق أفياءٍ تعتذر
وانهزمت لعناتُكَ في جحرها تنتحرُ
.. لن أسامحكَ..
لو جفّفتَ "المتوسّطَ" بمناديلكَ أجيالاً
وبنيتَ لمدينتي سدوداً بوجه كل مغتصب
.. لن أسامحك..
إني يا سيدي امرأةٌ
والمرأة أمٌ بثوب إله
لا تخنقها الأقدار
لا تُغرقها الأمطار
ولا يزين جبينَها إلا الغار

..

إني يا سيدي امرأة
والمرأة تغتسل بأنهارِ الحنكة طوعاً

..

حين يلثمُ الزمنُ ثغرها وثديها
مثل طفلٍ يتيمٍ.. جريح

..

إني يا سيّدي امرأة
والمرأةُ لا تذبح أطفالها حين تعشق
ولا تلتهمُ طيورها حين تجوع

..

إني يا سيّدي امرأة
والمرأة لا يُعميها دخانٌ

..

ولا يُفلِسها غدرٌ ولا سقوط
ولا انكسار

..

ثورةُ الجياعِ والفقراء ليست خرافةً
فقد حاكها نصفي لنصفي رداءً للأرضِ
بظلالِ عمالٍ وأطفالٍ
في معابدِ نساءٍ

..

لن أسامحكَ وأنتَ تسألني الغفران
فلتصعدْ ظلالُ دربكَ قبلي
إنكَ خارجَ دائرةِ عشقي منذ زمنٍ
وإنّي امرأةٌ لا تُجيد العَفْوَ
ولا الحبَّ
حين تملكُ الخَيار

وردٌ كاذبة

خُذ ورودَكَ

لا أريدها

هي تكذبُ

..

كم مرة يجب

أن يخدشَ الشوكُ بخبثٍ صدقي

ونساءٌ كثيرات يرتدين ظلي

..

كم مرة يجب

أَنْ أملأَ السلالَ

وروداً مُجفّفة

ألواناً شاحبة

..

كم مرة يجب

أن تحملَ الأسطرُ

اسمكَ وهمسي

وسَلّةَ وردٍ داميةً.. باكيةً

..

كم مرة يجب

أَنْ أقسمَ بالغالية

أني وأنكَ

لن نُبحرَ ثانيةً

..

خذ ورودَكَ.. يا رجلاً عني

إني وإنكَ

لن نعودَ ثانية

على شفير الحب

مثل البهلوان..
تسيرُ بحذرٍ
تقفزُ بخفةٍ
تتلفَّتُ كالعصفور
تخشى الوقوعَ في مصيدةِ عينيها
تتلعثمُ.. ترتبكُ.. تتبعثرُ
تصير جثةً ماضيةً إلى ماضيها
وروحاً تائهةً في المثالب تسبحُ
..
مثل البهلوان..
تكرُّ تفرُّ
ترتدي في كل يوم ثوبَكَ إياه
ترسمُ الدمعَ على خَدّيك
تدَّعي البكاءَ على الأطلال
وأنت تتوقُ إلى الطيران
كَنَسْرٍ هزمتهُ المدينة
واحتضنتهُ الصحراء
وأي صحراء؟!
من أنتَ.. يا أنتَ؟
أتكون إنساناً من ورق
مزَّقتهُ المنافي والمحطات؟
أم أنك من بلّورٍ متشقّقٍ
يخدشه الفجرُ كلما صاح
و يرتجفُ حنيناً من أنينِ المسافات
وصفيرِ القطارات؟

..

من أنتَ.. يا أنتَ؟

يا رسماً تقنَّعَ بسحنة إنسان

لم تمحُ آلافُ السنين نقشَهُ ولا طينَهُ

وما غرقَت مُدُنُهُ في فيضانٍ أو طوفانٍ

..

لامسَ الموتُ جفنيكَ ولم يُطبقهما

أتكونُ سفراً لمراكبِ العشقِ

في قلوب العذارى والغانيات

أم أنك غابةٌ تلبّدت بالغضبِ

فابتلعت أطفالَها قبل أن تلدَهم الحياة؟

احتار بأمركَ الهوى مراراً

...

يا ناحتاً للوقت

تمهَّل قبل العصيان

على شفيرِ الحبّ أراكَ متدلّياً

حاذر الرياحَ لو هبَّت

لن ترحمَكَ..

لن ترفق بهيكلِ ذكراكَ

لن تُمهِلَكَ..

يا وجهاً بلا ملامح يرتسمُ

كوحش[على شفيرِ الحبّ يتضوّر

..

لن تشفقَ عليكَ لا أميراتُ غدركَ

ولا الجواري..

ولا آلهتكَ..

كلّهن على شفيرِ الحبّ منتظرات

أن تستغيثَ..

أن تقعَ..

أن تركبَ البحرَ مغادراً

فيبتلعكَ موجُهُ نَهماً

في قنينة أغلَقَت عنقَها عنوةً

برسالةٍ من رحيق الفشل تقتاتُ

وفي طيات نزوةٍ آثمةٍ تغتربُ

تنتحرُ..

عن أي حبٍّ أتكلم؟!

فارغةً أصبَحَت تلك المدينة

مثلي تماماً..

تنقرِضُ على محياها كل الانفعالات،

صياحٌ يبتلعهُ الغضب

وبكاءٌ يلتحفُ بالمناديل

في أعاصيرِ حبٍ هرِمَ حتى الجفاف

عن أيّ حبّ أتكلم؟!

ذاك الذي ارتَشَفَتهُ زجاجةُ الويسكي في بطنِـها؟

أم الذي بَصَـقهُ جيدُها وأنتَ تهذي؟

عن أي حبّ أتكلم؟!

عن عباراتٍ صارت خاويةً مثل مدينتي

مدينتي المحطّمة

مثلي مبعثرة..

مثلي.. تشربُ قهوتَها خلسةً

بين رصيفِ المقهى

وسيارةٍ ملغومة

تنسفُ من نحب ومن نكره؟

عن أي حب أتكلم؟!

عن وجهِ أمي الحزين

وهي تُحذّرني من أهوائك وجنونِ القصف في لبنان؟

أم عن صمت أبي الكئيب

وهو يصارعُ، تارةً، طرائفَ منطقٍ يريدُهُ لي حاسماً

وتارةً أخرى هلوسات حروفي بكَ؟

أيكون أبي مخطئاً لو خاف على وحيدتِـهِ منكَ؟

..

عن أي حبّ أتكلم؟!

عن قصةٍ قديمة أهمَلَتها كلّ الشعوب

ومزَّق صفحاتها زعماءُ الحروب في وطني؟

أم عن أطروحةِ عمرٍ تدورُ وتدور

في أسطوانةٍ مملّة كوجهِ القمر

أو في "مباريم" غجرية ترقصُ من شدّةِ الألم؟!

عن أي حبّ أتكلم؟!

عن ماءٍ نَقَشَ الحجرَ ولم يخدش قلبَكَ

فانفَجَرَت كل الطرقات والدروب

مثلما انشطرَ اسمي

وشكلي

وعقلي

وكبِدي

بين بيروت ومونتريال

..

هل أتكلمُ عن حبٍّ نَسِيَ أن يموتَ حباً

تاهَت عنه المقابرُ بشواهِدِها قسراً

وأصبحَ همسُها لهيباً

فأحرقَ مواسمَ مدينتي الهاطلة أحلاماً؟

أم أخبركَ عن عنقٍ ما زال يحمِلُ عطرَكَ؟

ماذا أكتبُ؟

كيف أكتبُ وأنا كمدينتي منكسرة

..

عن أي حب أكلمُـكَ؟

ذاك الذي علَّبَتهُ حساباتكَ

في قارورةِ عطرٍ تحملُ اسماً عتيقاً

فحَطَّمَـتها مساحاتي

قبل وبعد أن رَحَلتَ خطواتكَ مسرعةً؟

أم أكلمـكَ عن عصفورٍ ما زال يرفرفُ محتضراً؟

..

عن أي عشقٍ مسمومٍ أكتُبُ؟

عن ذاك الذي انحرفَ كقذائفِ الموتِ في بيروت

فكان مجونُها أكبر من النعوش؟

أم عن غفرانٍ لم أعد أقوى على مجاراته

فأغمضتُ عينيَّ هاتفةً

"وَجَدتُها! هذه المرة لن أسامِحَـكَ

فإنك مدركٌ ما أنتَ فاعِلُهُ"

وسأكتبُ..

على الطرقات والرمال والبحار

وفي رحمِ السماء

"فَليَمُـت الغفران في عشقِهِ وغبائهِ

لن أسامحَـك.. لن أسامحَـك"!!

كيف حالكِ؟

وتسقط كلماتكَ

مثل قطراتِ ماء

على حبرِ الورق

تشوِّه الأحرفَ ولا تمحوها

وتسألني عن حالي؟

..

متى كان الموجُ يأبى ألمَ الصخر من الجَلدِ؟

متى كانت الريح ترحمُ الأشجارحين تُغتال أوراقها غصباً؟

متى كانت الشمس تكترث لعطشِ الصحراء

هل لي أن أفكِّكَ جسدي وعقلي

وأعيد رسم خطوطي

كي أستردَّ ذاتي منكَ؟

..

اصمت.. لا تسأل عن حالي

القسم

قرّرتُ ألا يسألني الأصدقاء عنه بعد اليوم

..

قررتُ ألا أسهو حين أقرأُ كتاباً

كان قد أخبرَني عن صاحبِهِ في يومٍ من الأيام

..

قررتُ ألا تشرق الشمسُ عليّ وتغيب

وأنا في ذهني أرافقُ خُطاه

..

قررتُ ألا أبحثَ في وجوهِ النساء

عن امرأةٍ قد تكون قد لَمَستها يداه

..

قررتُ أن أحسبَ حياتي الآتية بالساعات

دون أن أُعَدِّدَ كم مرة فرحتُ معه وكم مرة حزنتُ

..

قررتُ أن أغضبَ، أن أفرحَ، أن أثورَ دون قيود

وما هَمّ أمنياتي إن نَجَحَت أحلامُه أو فَشِلَت على الدروب

..

قررتُ أن تصيرَ حكايتي معه كالحربِ التي عشتها

كتاباً ما ضَمَّ مثله كتابٌ قصةً

تَجانَسَ فيها العشقُ والحقدُ حتى الممات

..

قررتُ ألا أحزن حين أسمعُ فيروز تغنّي

..

وأقسمُ اليومَ باسمِه وبحبّه

ألا يعود ما كان قد فات

يا ليتني ما جئتُ

أتيتُ في غفلةٍ
أتَسَـلَّـلُ..
وعمري كذيلِ ثوبي يزحَفُ
أتيتُ..
من خلفِ الأشجارِ أرمقُ
قامتَكَ والعينين أرسمُ
ويا خيبتي حينَ رأيتُـكَ
في لهفةٍ على عطرٍ غريبٍ تغدقُ
..
خَلَعتُ أزمنةَ انتظاري في حسرتي
تركتُها في حضنِ الأمطارِ تُعتَصَـرُ
أما أقسمتَ يا عمري أني
للعيدِ قيثارةٌ تَهـدُلُ
وأنكَ هلالٌ ما اكتَمَلَ بدراً
إلا يومَ
أطلَّ طيفي من شرفةِ العشقِ ينـدَهُ؟!
لَعَمري كم بنى كذبُـكَ
قصوراً من رمالٍ!
وكم حَلمَت في زَيفِها أميرات!
..
رَكضتُ إليكَ أسابقُ مسيراتي
أتيتُ.. ويا ليتَني يا حبيبَ الأمسِ ما جئتُ

الأبوابُ الموصدة

سحبٌ سوداء خَـيَّمَت على نافذتي
فتحتُ لها كل الأبواب الموصدة
تركتُها تمطرُ
تملأ الدارَ بكاءً
..
غرَفتُ من صبري
أطعمتُها..
أخبرتُها أني لم أنسَ
لا الحبَّ ولا الغلبَ
ولا هدايا الرياح الصارخة
كلُّها ما عادت تخيفُ صيفي
..
أَمطِـري ما شئتِ
الحبُّ والحقدُ للسماءِ سِيّان

إعصار

من أنتَ
ليرتديكَ جسدي إعصاراً
ويرقِّظَ السفرُ سمائي بعواصفِ ترحالك
..
أتكونُ خبزاً أسودَ
أم لعنةَ عمرٍ في حياةٍ أولى وثانية
..
حكتَ من الأوهامِ بساطاً عاصفاً
يضاهي الريحَ في تحليقِـه معانداً
أما تعبتَ من المكابرةِ على المكابرة
قد مَسَّختَ الأعذارَ قبل ان تُبتَكَرَ
بالأمسِ..
مَرَرتَ بموعدِنا كالبصرِ
كغروبِ الشمسِ أتيتُ أنا منطفئة
قلبي.. مثل رملِ الصحراءِ ينزَلِقُ
للريحِ مستسلمٌ..
كالتيه متطايرٌ..
مُبَعثَرٌ هو.. إن عدتَ
أو ركبتَ الترحالَ
من أنت؟
من أنت لتظنَّ أنكَ إلهٌ
تشاءُ الأقدارُ ما تريدهُ مطاعاً
..
من أنتَ؟
لتبرقَ..

لتمطرَ..
لأتساقطَ أنا كندفِ الثلج
حين يصهلُ الفراغُ في عتمتِكَ
متألماً..
من أنتَ؟
..
إنكَ كتابٌ من شتات
خبأه الزمنُ في مُخَلَّفاتِهِ..
وبكى

حيرة

1

عشقٌ في شغفٍ يُدركُني

يشدو للرعدِ يبرقني

يعلو بسمائي يبهرني

يبتلعُ رَمَقي في آخرة

أهذي يُعَربِدُ فينحرني

2

حزنٌ بالسوطِ يجلدني

يعدو بليلي يؤرّقني

يُربِكُني يلهو بضميري

أأسامِحُهُ يا ربي فَيَسجُنَني

أم أرفُضُهُ في غلبي فيَقتُلَني

كيفَ يموت الموت

كيفَ لم أعرف
أنكَ النسيان
وروحُهُ الساخطة
في سكونِ القبور
..
كيفَ لم أدرك
أنكَ الماضي
وهديةُ وجعٍ ملفوفٍ
في مناديلِ السفر
..
كيف لم أفهم
أنكَ الخطيئةُ
وغفرانٌ منتشٍ
في جدائل "مجدلية"
..
كيف لم أرَ
أنكَ الشتاء
ومطرُهُ "المُزَمهِرُ"
في جيوبِ شمسي وقشعريرةِ قمري
..
كيف لم أصدق
أنكَ البحر
وهديرُ موجِهِ
بين تردُّدِ مدٍّ وجُبنِ جَزرٍ
كيف.. وكيف

أهطلُ صمتاً مع الفراغ

فتعبرَ من جنبي كضجيجِ العالم

وأهجركَ إلى كوكبٍ آخر

لأعانقَ صدفةً لقيطةً

صَنَعَتها الرغبةُ

في حبٍّ سريريّ المخالب

..

كيف.. وكيف

يموتُ ظلك في ظلي

فأبصقَ كل الطعنات

وأعتلي خشبةَ الحياة

على أرضٍ تشبهني

زلزلتها الكوابيسُ

ولم تهدمها الأقدار

..

كيف.. ومتى

أرمي تلك الـــ"كيف" في كفني

فيختنق الضبابُ في جيوبِ الفضاء

كحسرة أمٍ غَدَرَها الغيابُ

..

كيف تنقرضُ الشفاهُ

ويصمتُ الصمت

فأغلق بابَ الكونِ

وأطبقُ السماءَ على رأسي

فيموت الموت بالموت

في عمق الموت

حتى الموت

لقاءٌ منسي

التقيتُهُ.. بعد تجعّـدِ الفصول
نسيتُ أنه قد نسيَ
وأن جواري "العصرنة" قد غدت
لمرآتهِ ولجدارهِ طيفاً شاحباً معلَّـقاً
التقيتهُ.. وكان يجب ألا أدنو
ألا ألامِـسَ خدَّه
ألا أشربَ من المُـقَـلِ
كي لا أسكر
ندمٌ..
عتابٌ وألم..
تركنا العمرَ يصبغُنا بالأبيض والأسود
نسينا أنّ لِحُبِّنا
الألوانُ معادلةٌ منصفة
..
ونسيتَ أنكَ مهما فعلتَ
ومهما حلفتُ أنا ألا أقرب
بركانُ الذكريات والأسئلة لن يهمدَ
وسلحفاةُ دربي إلى دربكَ ستُسرُعْ
تنقذُ الدقائقَ والثواني من القحلِ فتُمطِـرَ
عشقاً فتياً في الغيابِ والبعادِ يكبرُ

مُعَلَّـقاتٌ غابرة

سيأتي..
يوم تصلبُ الحيَّـةُ قامَتَها
تصيرُ شجرةً نسيت أن تزهرَ
...
سيأتي..
ليكونَ الغصنَ والثمرَ
ويَـلفَّ حول عنقِـها
خيوطَ معلَّـقاتهِ الغابرة
سيأتي..
لينهمرَ دموعاً ومطراً
على غابةٍ حَضَنَت ضلوعَه المكسّرة
فيما مضى..
سيأتي في ليلٍ أَبى أن يُـظلِـمَ
ينتظرُ بلوغَ الشمسِ لِرَغبَـتِـها
كي يغفوَ..
سيأتي..
ويضعُ تاجَ "النون" على شعرها
في عرشها..
يَغُـلُّ نقطةً في حضنِـها..
يُـنسيها "الخطيئةَ الأولى" والثانية
سيأتي..
ليكونَ الإعجازَ والقافية
فتبعث "إينانا" من رقادِها
لِـتُسكِـتَ فلسفةَ الرجالِ
والأحرُفَ التائهة في الكتب

لو حَـكَت..

سيأتي..

كظلٍ مدَّ ذيلَه للأفقِ كي يكبرَ

كآلهةٍ مضت إلى مثواها في غفلةٍ

وعادت من كبوتِـها ممتشقةً

سيأتي..

ليكون وطناً..

وأرضاً أغفو على تربتِها "امرأةً"

سيأتي..

سيأتي..

طريق العودة

لَملَمتُ المناديلَ

الساعات والكؤوس الفارغة

..

جلستُ في ركني

أرقبُ حبَّك في جثتِهِ الهامدة

..

أغمضتُ عيني

أتلذّذُ القلقَ والتردّدَ المصلوبين على جبينِكَ

..

أيقنتُ حينها

أنّ غدرَك الصارخَ

يساوي مكابرتي العاتية

..

وأنكَ مهما فعلتَ

ومهما ندمتَ وتحسّرتَ لعقارب الواحدة والثانية

ومهما تمزقَ صدرُكَ وصدري

وأوصدت أبوابُ العودةِ الراقدة

دربُكَ لدربي متلهف

يرسمُ الخطى

لانتصاراتٍ آتية

نحلم بها أنت وأنا

ونشعلُ الدربَ

لطريق العودة العاشرة

بين الفاصلة ونـهاية السطر

أراكَ تركضُ إلى الوراء
والموج يصفعُ قامتَـكَ
هل أغلَـقَت الشمسُ بابَ حجرتِها
وطَرَدَ اليمُّ رياءَ الزبدِ كي يتنفَّسَ؟!

..

تبحثُ عن ماضيكَ في عَينَيها
تسترقُ الحلمَ من قوافلَ عائدةٍ
تعتلي عرشَ الحاضرِ على نَهدَيها
وتغوصُ في عمقِ الدهرِ
مرتشفاً خمرها
مغتبطاً بارتعاشاتٍ مرتحِلة

..

جسدُكَ المنتفضُ لم يهمد في جبروتِهِ
وما سَكَنَ الشَبَقُ في خِدرٍ عابرٍ
كل الأمطار، لم تغسل أهواءَك
ولا الطوفان يعادلُ هطلَ الدمع من مقلتيها
على صدرِكَ الخائرِ

..

اخلع وجهَـكَ في غيبوبَـتِهِ..
واحمِـل جثمانَـكَ على كتفيكَ..
دربُ الموتِ في الهوى كَـسَيرِ النملِ
ظهرٌ محدودبٌ.. وفمٌ لاهِـثٌ
يرغو في سيلِ الظلال

..

أسقِط يَدَيكَ..

أوقِف النقرَ على بابِ القلبِ
قد تعبَ نبضُه من العزفِ
في تيهِ السحابِ مرغماً
..
ابتر رجليكَ
أو لا.. لستَ مضطراً!
اركَع فقط..
الوقتُ يقضمُ أطرافَ العشقِ
وَلَو كانت خانعة
.. حين يُطلَبُ منكَ الكلام
أكتُب!
نقشُ المعاني في الحب تِبرٌ مقدسٌ
أدمنته الآلهةْ في طهرِها
فَخَلدت
بين الفاصلةِ ونهايةِ السطرِ
يعاتِبُـكَ طيفُها المُطلُّ من زوايا الأحرف
يفترشُ الحِـبرُ شعرَها
وجبينَها..
وكتفيها..
تندسُّ أناملُك خلسةً
تتَـلمَّسُ خطوطَ جفنيها
ومن قمة اغترابِكَ
تَنهارُ على أوراقِـكَ غير مصدِّقٍ
كطفلٍ فَـقَدَ أمَّه منذ الولادة فَتَيَـتَّمَ
بين الفاصلةِ ونهايةِ السطرِ
اغتيالٌ وقيامة
فعلِّق أهدابَكَ لاسمِها كي يتأرجحَ
والثُم جِراحَ صَمتِها قبل أن تنزفَ

..

لا تبحث عن حياةٍ ثانيةٍ من دونها

فالملحُ عن ماء البحر قد انفصلَ

يوم أغرَتهُ الشمسُ بِدِفئها وَتقرَّحَ

..

وأنتَ من غيرها شرفةٌ ملبَّدةٌ

تلوِّح من على صهوتِها

أيادٍ ومناديلُ كثيرةٌ كثيرة

ولا تسكنها..

بين الفاصلة ونهاية السطرِ

لحنٌ عتيقٌ أرعنُ

كهديرِ البحرِ لن يخرسَ

أطلالٌ عائمة

تلك هي التفاتتكَ
يحلو لكَ أن تجعلَها عابرةً
حدقةٌ تُصَوّبُها على عنقي
وأخرى تَحطُّ على أصابعَ مرتعشةٍ
ذاك.. ركن كان لنا
هنا شفاهٌ مبتسمة

..

هنا شحنةٌ غاضبةٌ
شجارٌ أرعنُ
عَبَقَ دخاناً في سهرة البارحة

..

هنا ملامحُ عشقٍ مترددٍ
بين احتضانٍ متورمٍ
وعودةٍ متعثِّرَة

..

هنا أريكة..
قميصٌ ورباطٌ
وهنا سوارٌ..
وأقراطٌ مرميةٌ معاتِبة

..

هنا كلماتٌ تشبهني
منسيةٌ كالفتات على زاوية طاولةٍ خالية

..

هنا وجهكَ يقتنصُ مسافةً
بين البقاء أو انتعالِ عودةٍ عاصية

..

هنا ذكرى لكتاب سجا

تحت غبارٍ حكايةٍ راقصة

تعلو السحابَ بزوبعةٍ ماجنة

تزلزلُ الأرضَ بخبطةٍ حانقة

..

هنا هاتفٌ ينتظرُ رنيناً

لصوتٍ متلهّفٍ

لقبلةٍ مكابرة

..

هنا قصائد معلّقةٌ كمشنقة

تاهَت عنها رقابُ أبطالِـها

حائرةٌ هي..

غائرةٌ..

كبئرٍ تعبت من عمقِ أسرارها

فتسلّقت الكلامَ

لتصيرَ غابةً

..

هنا رثاءٌ

هنا وداعٌ

هنا صهيلٌ

هنا دعابة..

كركرةُ حبٍّ امتَهَنَ العراكَ

على سريرٍ دافئ

يخصّبُ الرجاءَ

..

هنا "نحن"

نزحفُ كساحلٍ

نركبُ البحرَ كجزيرةٍ راسية
تعاندُ الريحَ على كفِّ عفريت
وتمتشقُ الفضاءَ كأطلالٍ عائمة

..

هكذا "نحن"
نختلسُ البقاءَ..
نمتصُّ رحيقَهُ
في صُوَرٍ متخثرةٍ بِفَشَلٍ متباكٍ
وانتصاراتٍ ساخطة

..

هكذا "نحن"
نغيبُ ونغيب..
يسودُنا العشقُ..
يجتاحُ مطارِحَنا
في انحداراته الصاعدة

غريبٌ.. قريبٌ جداً

فَكَّرَ:

قليلٌ من الحب

أنعشُ قلبَها التعب

أجتازُ صمتَها

وأكنسُ اللومَ عن عتبةِ وجهِها

..

قليلٌ.. وقد تحسبه "كثيراً"

في حفرةِ أحلامِـها الصغيرة

..

قليلٌ من الحب

أغسلُ به لطخةَ أهوائي

وأغفو في رمقِ نومِـها العميق

نَـظَرَت إليه محدقةً

وأفكارُها كالنردِ تطرقُ

أيكون حباً..

أم عطشاً..

أم فراغاً جديداً مرتعداً

..

تمعَّـنَـت وقد أدركت

أن حضنَها سيكون له مركباً

تلطمُهُ أمواجُ اغتراباته الهائجة

وهي.. مدينةٌ "بيروتية" الهوى

تحبُّ العومَ في التيار

وتعشقُ البحرَ

في الصيف وفي الشتاء

..

نظرت وهي تعلم

أنّ اسمَها ربطةُ عُنُقٍ تَخْـنُقُهُ

ورغبةٌ متمرّدةٌ غامضة

..

لن ترسمَ لِقَليلِهِ ظلاً

سيكون بقايا نسيمٍ

تلسعُهُ الشمسُ مع صحوتِـها

..

سيكون قليلُهُ فارغاً جداً جداً

سيكون زائلاً..

كتجاعيدِ الماء وهي جارية

وانتحار تشققاتِـها وهي نائمة

وقَرّرَت..

لا.. لن تنعشَ قلبي بالكذبِ

رغباتي ليست بماجنة

إني رفيقةٌ لِـطَيفي وَلو صغرَ

وَفيةٌ لِـصَوتي وَلو خانَ

..

تعمدتُ بآثامي يومَ ولدتُ

فَحَرَّرَني الله من شروطِهِ

لأصبحَ امرأةً قدرية

وأنتَ في "حفرة أحلامي"

من ضمنِ "القليل" القليل

غريبٌ.. قريبٌ جداً جداً..

دعوني.. خلف الستار

دعوني..
مللتُ النقشَ على الماء
على الزيت..
في الزئبق..
على الهواء..
في رأسي كلّ البطولاتِ تصدَّعَت
..
اعذروني..
أريدُ أن أجهضَ أورامي
أن أخنقَ الباطلَ.. حتى الانفجار
دعوني..
أنثى تغلُّ كالنوى في ثمارها
تحتسي من روحِها المغتربة
نبيذَ عمرٍ مُزّاً
..
اتركوني..
أسامرُ أحلامَ يقظةٍ بالِغةٍ
أدعوها إلى مائدتي
أفاوضُها..
أمزّق ما كتبتُهُ عنها سابقاً.. حتى الغبار
دعوني..
أمسحُ ألوانَ اللالون عن وجهي
أرتدي ملامحَ صبرٍ جديدٍ
أفقٍ جديد..
مشوارٍ جديد..

آلامٍ جديدة..
لي.. أن أعدو في رحيلٍ آخر
أتعمَّدُ بمشقاتِـه
أخلعُ قناعي.. حتى العري
دعوني..
أدخلُ وراءَ الكواليس بهدوء
أستحضرُ أوجاعي الراقدة..
في ثنايا حبٍّ عاقرٍ
وغدرٍ متوقدٍ
يشتعلُ في متاهات عشقٍ لاهثٍ
يتمرّغُ في حضنِ مومسٍ عطشى
أو على صدرِ زنبقةٍ ساذجة.. هو لاهث
..
اسمحوا لي..
أن أكسرَ مرآتي الهَشَّـة.. حتى الحطام
دعوني.. دعوني
اخرجوا من دائرتي..
أسدلوا الستارَ
أقفلوا الأبوابَ
..
دعوني..
أريد أن أغفوَ..
أريد أن أنامَ..
حتى انبلاج الفجر
في حكايا شهرزاد
وارتسامِ الشّمس على وجوهِ الأطفال
في وطني..
عند الصباح

هناكَ هنا وأنا

هناك

..

مهرِّجون

يكتبون بالدمِ أسماءنا

..

دجّالون

يغسلون وجهَ الشمس

بأدعيةٍ كاذبة

..

أَجِنَّةٌ

في بطن الأرض تنمو

لأوطانٍ منتفضة

..

و.. ننفضُ الرمادَ عن الجمر

نقبله ونثور

هنا

..

خطواتٌ ثقيلة

على دروبٍ غريبة

ليست لنا

..

حنينٌ

مسجونٌ في زجاجة

يئنُّ في نهرٍ باردٍ

..

عودةٌ

كنورِ شمعة في قعرِ كوبٍ

يصارعُ البقاء

..

ونصلّي

عسى الماء يتحولُ إلى خمرٍ

نسكر

وننسى

هناك

مشروعُ إنسانٍ يبحثُ عن جسد

..

هنا

جسدٌ في قالبِ إنسانٍ

..

وأنا

في طياتِ السموات

مساحةٌ عنيدةٌ

لحروبِ حضاراتٍ

وأوطانٍ

وعشّاق

لم يبقَ منكَ سوى شجرة

(من وحي صورة "الشجرة" للفنانة ديان بايغن)

لم يبقَ منكَ سوى شجرةٍ

خضراء تستفيقُ

تُسَرِّحُ شعرَ السماء

وصفراء تغفو

فتُكنِّسَ بركبتيها وجهَ الأرض

لم يبقَ منك سوى مسافةِ عريٍ

في هيكلِ امرأة

أسقطوا عنها كلَّ أوراقها

ورجموها بلا خجل

وكلّهم خاطئون

لم يبقَ منكَ سوى وادٍ سحيقٍ سحيق

شقَّ الأرضَ

لاعِناً تلك المقابرَ المنصوبة

وكلّ موتاها أحياء

لم يبقَ منكَ سوى بضعِ زفراتٍ في كتاب

بلَّل أشرعته بالمنافي

بأبيات ثائرة

مُدمِنة الحياة

لم يبقَ منكَ سوى أنتَ

حين تُمطِرُكَ السماء

ويزرعكَ الترابُ مثل شجرة

تُسَرِّحُ شعرَ السماء

وتكنسُ وجهَ الأرض

على الشرفاتِ والساحات

في مسارِحِ الغياب

حين تصبحُ الشمسُ برتقالةً

إلى كاسبار درديريانمن وحي لوحة غلاف ديواني الأول"من بيروت إلى نينوى"
لم تعد تلك الكرة المشتعلة تحرقني!

..

على رأسِها تاجُ قطبِنا الشمالي
ويفترشُ ذقنُها رملَ "المتوسطِ" أريكةً

..

لم تعد غريبةً عني في بلاد الثلج
مذ أهْدَيْتَني لوحةَ تلك الخرافة الأثيوبية
ما عدتُ أرسمها فوق تشققات يدي
وتصدّعات جدار الملجأ

..

ما عدتُ أستحضرها في صحوة أحلامي المظلمة
ولا في فراشٍ متحجّرٍ تحت سقف هشٍ يدَّعي الأمان
ما عادت هي تحتجبُ خلفَ الدخان
مذ أهْدَيْتَني تلك المدينة السوداء
ما عدتُ أسكن بيتاً من رمادٍ وركام
ولا نشرةَ أخبارٍ تحتشدّ بهتافاتٍ سوداء وراياتٍ بيضاء
وما عادت بيروت تنكمشُ في مذياع
مذ أهْدَيْتَني ذلك العبد وهو يصطاد الحرية
أصبحت الشمسُ برتقالةً أقطفها متى أشاء
فما عادت مضاجعُ النساء المغتصبات تُؤوي الذئاب
وأيادي الظالمين تصكّ أحرفَ شعوذاتهم برياء

..

وما عدتُ أخاف
لا سماءً ساخطةً

لا أرضاً منبوذةً

ولا رحمَ حربٍ

يخنقني بحبلِ الموتِ

مذ أهْدَيْتَني تلك اللوحة

ما عاد الله يختبئ وراء ذلك اللهب

نزلَ عن عرشه ليهبَني الشمسَ برتقالةً

أعتصرها فترويني

كلما مرَّ حصادٌ

ونأى عني بحرُ مدينتي قسراً

..

مذ أهْدَيْتَني تلك اللوحة

أصبحت الشمسُ برتقالةً أقطفها متى أشاء

هذيانٌ.. ليس إلا

اليوم
عُلِّـقَ الوعدُ على خشبةٍ
دَخَـلَت الشمسُ في جوفِ الأرض
تخبئ وجهَها
تختفي..
اليوم
ابتلعَ البحرُ كلّ المدن
بقيت أساطيرْ هَـشَّة
لأبطالٍ رمادية اللون
تهذي..
اليوم
انشَطَرَ القلبُ نصفين
صار الدربُ غريبين
واليتمُ صدراً مفتوحاً
لِـحُبٍ أكبر من الألم
لِـوَطَنٍ أبعد من اللانهاية
اليوم
زرعَ الغدرُ على القبورِ وروداً
مثلما سرقَ العشقُ مني كُتُبي
ومن عمري الأزمنة
..
اجتاحَ الحزنُ كل الأزقة
هَطَـلَ الباطلُ زخات
على وسادةٍ ممزّقة
يطيبُ لها

أن تنزفَ في كل ليلة
من الخيبات جداولَ
حتى الصباح..

جيسيكا

(إهداء إلى ابنتي في عيد ميلادها الثامن عشر)

أهديكِ من عمري

جذورَ الأرجوان ولعبةً من التاريخ

ومن مدني سفراً

وأفقاً مدجّجاً بالأساطير

أهديكِ باسم الصليب خمراً وخبزاً

وأغصانَ الزيتون من أورشليم

أهديكِ نَسَباً أُسقِط من عل

ورُطبَ رمضان

أهديكِ من العالم سحرَ شرقِهِ

حسنَ بيروت

وخلودَ الأرز على الجباه

أهديكِ باسم من حضنكِ

ضفافَ الرافدين..

قصبَ أور..

وملاحمَ عشتار..

أهديكِ يا أجمل حقيقة

دوَّت في عمري

حريةَ طيرٍ

وألماً يمتشقُ ليصيرَ إنساناً

ثلاثية شهرزاد

1 عطرُ شهرزاد

تجلسُ بقربكَ..
تلتصقُ بكَ..
تتكئُ برأسِـها على كتفِكَ
وهوَ موطني
تُحَـدِّقُ أنتَ بعينيها
أراكَ تداعبُ شعرَها
تبحثُ عن لونِ شهرزاد
وعطرها..
تسخرُ منَ القدر
وتضحك
تلتصقُ بكَ أكثر
تهمُسُ في أذنكَ "أحبُّـكَ"
تعودُ وتؤكدُ "أحبُّـكَ كثيراً"
هي تجهلُ أن الحبَّ يرفضُ الصِفات
هي لا تدري أن في حرفيه الكمال
تلفُّ ذراعَكَ على كتفِـها
تحتضنُها وتقول:
"لا تحبيني كثيراً
الكثيرُ وهمٌ
يحوِّلُ الحبَّ إلى سراب
أحبيني الليلة في شَـتاتي
انسيني غداً
وارمي بخصلاتِ شعركِ على كتفٍ حديثةٍ
فأنا عتيقٌ.. أحيا
يومَ شهرزادُ تُبعَثُ من جديد

كي تحبَّـني وليسَ بكثيرٍ
في كل ليلةٍ
ألف ليلة وليلة"

2 وهمُ شهرزاد

قالت:

هل تعلم! أني لو توقّفتُ عن حبكَ

توقّفَ الزمنُ عن الدوران..

وأني لو انتصرتُ على ما يُسمّيه الأصحابُ "ضعفي"

خسرَ العالمُ ما أسمَتهُ الطبيعةُ "أمطاراً"

قال:

توجتكِ في الماضي "ملكةً" واليوم أماً وحبيبة

للغدِ مطرٌ شديدٌ تُنعمُ علينا به السماء

انتصري يا فراشتي انتصري

واملئي كؤوسَ الأصحاب استفهاماً

مرَّ عامٌ على الفراق والثاني تحوكه الألغامُ

..

لا الزمن توقّف عن الدوران

ولا الرذاذ أسكتتهُ الأفواه

امتلأت كؤوسٌ كثيرة وفرغت

وغبَّ الليلُ ما غبَّ من أشعار

..

ضاجعَ النهارُ الصخبَ بشبقٍ

وحاكت الطبيعةُ معاطفَ كثيرة

بعدد عيون الأطفال

..

فلا هي تَخَلَّت عن ضعفِها

ولا هو أدركَ شهرزاد

3 دفنُ شهرزاد

سأموتُ قبل أن تقتلَني وصاياكَ

..

قبل أن آوي إلى قبري

أُشعلُ سيجارةً كنتَ تكرهُها

أنفخُ في دخانِها رمقَ غضبي الأخير

..

يعبقُ في ذهنِكَ حلمٌ

أن تقبلَني..

أن تقتلَني.. أن أبعثَ من جديد

أُطلَّ مثل شهرزاد

..

يرتسمُ صليبٌ بين عينيكَ

تدركُ أن الله قد أخطأ في صنعي للمرة الألف

وأني قد خلعتُ جلدَ شهرزاد في الصباح

..

أُدركُ أنكَ تعشقُ سمومي العطرة وفساتيني الحمراء

وأنكَ ترتعشُ من الحنق..

من الرغبة..

من بلوغِ الفجرِ قبل الإبحار

..

سأموتُ قبل أن تقتلني وصاياكَ

قبل أن تستقبلَ قافلةً جديدة

لدميةٍ حمقاء

تكرَهُ الشعرَ وحكايا شهرزاد

..

سأموتُ قبل أن تحفرَ اسمَكَ على قبري
قبل أن أرتدي كَفَنَ الأخريات وعطرَ شهرزاد

..

شهرزاد.. شهرزاد..
ماتت في الشرق.. دُفِنَت في الغرب منذ عصور
وفي رأسكَ يا "مولاي" ما زالت تدور تدور...

..

أراها في سحرها، في غلبها..
تُرَدّدُ وصاياكَ الألف
تصلّي..
تحرقُ البخور.. كي لا تعود..

رسالة على الماء

و.. يأتي المساء

تحيةً مسائية..

أكتبُ إليكَ في الظلام خوفاً من أن أرى نفسي في المرآة ضعيفة أمام عناق المسافات.

أكتبُ إليكَ وفي الكتابة بعضٌ من فرارٍ وعصيانٍ..

هل عادَ بي الزمنُ إلى الوراء كي ألغيَ احتفالات الأصوات عبر سَمّاعةِ الهاتف؟

أم أن يديَّ قد اشتاقتا إلى ملامسةِ الأوراق

إلى خربشات قلمٍ متناغمةٍ مع حفيفِ الصفحات؟

أكتبُ إليكَ وفي رأسي ألف سؤال متعجّب واعتراف.

أما زلتَ تهتف بعقمِ الآلهة وبالتعاويذِ لا تؤمن؟

ألا تزال "شجرة الحياة" مُعَلَّقة ما بين صحوةِ كتبكَ العتيقة وتدفقِ أنهر وجعك على شعبٍ مندثرٍ؟

المطرُ و"الساحةُ الحمراء" وخريف موسكو.. هل غادرت أم أقسمت على الخلودِ في حدقةِ ذكرياتكَ؟

فتاتُكَ! فتاتُكَ المعتلية تلك الكرة، هل سقطت في امتحان الاختيارات أم حملت كرَتَها وركضت إليكَ تلهثُ؟

هل استقرَّت روحُكَ في جسدِها على أرضِ الوطن؟

في رأسي أيضاً سربٌ من الاعترافات.. أكتبُها على قشعريرة المياه فعساها لا تصل صامتة.

أعترفُ لكَ أن غربتي المنهَكَة من منصاتِ التمرُّد واللارجوع انتشلَها سفرُكَ من الغياب.. عادت تعوم كالبجع على صفحةِ بحيرةٍ مغلقةٍ في اسطوانة لن تعتزلَ الصياحَ ولا الدوران.

وإني قد اقتنصتُ تنهيدةَ صمتِكَ لبرهةٍ على الهاتف هذا المساء..

رسمتُ وجهَكَ بلمحةٍ، بين رفَّةِ رمشٍ وومضةِ أمنية تستعصي على الرحيل في انطواءات صوتٍ مرتجفٍ مع همسة "تصبحين على خير".

كانون الأول 2006

ويطـلُّ صباحٌ

تحيةً صباحية مشرقة كشمسِ الجبالِ في الشمال..

رسالتُكِ لم تصل مظلمة.. فالمرآة قد عكست

ومضات طيفِكِ في غربتي الجديدة.

لا تعجبي من غربتي.. قد أصبَحَت في الوطن ضرورةً.. إذ إن القُبُلات تسقطُ في المسافات القريبة قبل أن تفوحَ، والأرواحُ تتوقُ إلى التحليق في مساحات الحرية حين يصبحُ الوطنُ سجناً كبيراً.

أستمعُ إلى خربشات قلمِكِ في وحشةِ الظلام..

هي نغماتٌ تحادثُ وحدتي وحفيفُ أوراقِكِ

همساتٌ تؤنسُ فراغَ غرفتي الصامتة.

آه لو تدرين كم من مرةٍ حاولتُ جمعَ أبطال روايتي التي لم أكتب نهايتَها بعد.. استحضرتُ كل ما آمن به الملايين من البشر.. الآلهة وتعاويذها.. أغنيات المطر على الساحة الحمراء وبساط الخريف المتألم تحت أقدامِ الغرباء والتجّار، في موسكو...

وفكرتُ..

كم يلزمنا من الوقت كي ننسى ونرتاد جُزُرَ الصمت؟!

كم بقيَ لنا من الأناشيد قبل أن تهجرَنا ترسّبات الحنين؟!

موسكو! يا صيحة جنون في زمنٍ شحَّ فيه كل شيء إلا الدين!

تسألين عن فتاتي أم عن الكرة التي تدحرجت مثل قلبي في عري المدن وفوهات غدرها؟!

فتاتي المستيقظة الحاضرة كالملاك في حلمي.. الهاربة دائماً.. راكضة محتضنة كُرَتَها في ضجيج يقظتي، لم أُسقِطها في الامتحان إنما فشلتُ أنا في الاختبار والاختيار.

وها إني اليوم أحملُ قرارَ رحيلٍ جديدٍ أو اللارحيل كرةً جديدةً من نارٍ تحرقُ يدي.

كم أوهَمَتني شجرةُ التاريخِ بالحياة.. أراها واقفةً على حافة البحيرة تَندَهُ لحياتِـها التائهة بين صفقات الاتفاقات الواهمة واحتضارات الأحلام في خيبات "تسميات" شعبي "المندثر"..

هي لم تَمُت لكنها أصبحت خشباً عتيقاً جَفَّت فيه الحياة.

نعم.. ما زال الماضي يتراقصُ مع الحاضر على "قشعريرة" مياهِـك غير الصامتة في فكري..

تُمطِـرين وجوهاً، تَستَحِمّين بالصور وتراقصين مدني على رؤوسِ أصابعِكِ قبل نضج الفجر، فتنهرني الشمسُ لحبسي لها في حلمي وحلمكِ حتى الصباح.

كانون الأول 2006

الشاعرة ليلى كوركيسو.. بلغت قصيدتُها سن الرشد!

رزاق علوان / شاعر وصحفي عراقي

في تجربتها الشعرية الثانية وديوانها الشعري الجديد "هناك.. هنا.. وأنا" محاولة جريئة في تأثيث ذاتية القصيدة، وبلورة مفهوم الخطاب العام عبر عنايتها واهتمامها بالتوقيع الفني - الشعري للشاعرة ليلى كوركيس ونبش المساحات الخصبة في أرضها البكر.

تشكلها الشعري: لوحة القصيدة التي تعبر عن حساسية بالغة الأهمية وباتجاه محاور السرد القصصي-الروائي المرتبط أساساً بأزمنة وأمكنة ووجوه وتفجير تأملاتها الحسية بلغة الحوار والتوافق في ذائقة جمالية السمع والبصر رؤية ورؤى.. واستنطاق الزوايا الضيقة، المحاصرة والخروج لعوالم سموات أكثر انفتاحاً، عمقاً، وضوحاً وضوءاً وتوقفت فجأة!

خوفها المزمن الموزع بداخلها أعاصير وسفراً وحكايات!..

في المجموعة الشعرية هذه استمرار لوقع القصيدة في رحلتها الأولى "من بيروت إلى نينوى" بلغة شعرية تنم عن نضج تجربتها واكتمالها والعبور من بوابات الحدقة المغلقة ومفارز الخوف ونوافذ التساؤل والدهشة والاندهاش.. و.. اكتَسَبت هوية!..

في "هناك.. هنا.. وأنا" تمتلك قوة كاشفة انبثقت من رؤية سرية أقل ما تطمح إليه صور الإبقاء على الصراع حية!.. صراع ما بين الظلمة والنور. السر والخفايا وضرورة الاكتراث.

قصائد ليلى كوركيس في هذه المجموعة الجديدة إنارة للذات بموقد لخلق مهارة في الكشف والتنقيب. سياق محدود التناول اختارته ليلى ممارسة وتجربة في النقد التأويلي فارتقت بمتن قصائدها بتفسيرات وتنظيرات وصولاً لمجاورة خلاقة بين جمرة القصيدة وأصابع تناولها وتوظيف ممارسة "المحرم" و"المقصي" وإدخالهما مذهباً فنياً في التشكيل الشعري ولوحة القصيدة!..

الشاعرة ليلى كوركيس لا تكتب ما ترى بل تكتب ما تفكر أو بالأحرى تحاكي موضوعاتها في أبواب ونوافذ القصيدة ضمن علاقة ذهنية-باطنية- اختزلتها في ذاكرة مرئية على الحوار المختزل بين لغة القصيدة-مضمونها والبعد الجمالي الآخر-شكلها، عبر حوارات بصرية-سمعية كذبذبات بصرية وتكراراتها في التقنية الشعرية المحمولة بعفوية الملمس وتأملاتها.

في القصيدة لوحة فوتوغرافية وتأملات في "هناك" كأن ثمة نافذة أو باباً سيفتح ذراعيها لاحتضان هذه الصورية المباشرة. طاقة وحركة تنهضان لتصبحا حضور الإنسان، حضور الكتابة وانفعالاتها وتداخلاتها والفسحة عند إشراقة نافذة وفتحة باب!..

وفي تجربة ليلى كوركيس الجديدة، لونٌ شعريٌ آخر يمتلك أدوات تعبيرية-انطباعية تقترب مرات من الواقعية وطرق بوابات "لعرصات" متروكة. أسلوب شعري جديد مأخوذ بالأسطورة ورومانسية اللون والموسيقى والتجريد بأُطر وأفكار ومخيلة، أيقظتها : سقوط ورقة شجر صفصاف ميت في آخر الليل!.. تيقظت حواسها في الحفاظ على البنية التحتية لقصيدتها.

احتفظت بأنوثتها الباهرة في "براد" وتحولت فجأة لأعاصير غاضبة لتلغي ذكريات موشومة في الذاكرة.

أكثر قصائد ليلى كوركيس التي منحتني قوة المراجعة والانطباع والدراسة والتأمل وبهاء اللون وصفاء الحفظ وجماليات التراتيل والخطوط والحروف والفوارز والنقاط..

"هذيان ليس إلا، هناك هنا وأنا، معلقات غابرة، لقاء منسي، يا ليتني ما جئت، إعصار، أطلال عائمة، غريب قريب جداً، كيف يموت الموت، بين الفاصلة ونهاية السطر، وجيسيكا. تمسكتُ بطارف الأخيرة بكائية ليست احتفائية بابنتها ذات البراعم الكثيرة! لتشغلنا ليلى كوركيس بأنها أم لهذا البرعم ذي الغصون المتشابكة الأطراف وعمق الجذور. ابنتها الآن على بوابة سن الرشد لتطرحها ارتباطاً روحياً مقدساً واستذكاراً للحاضر-الغائب- استذكاراً ما بين الخمر والخبز والزيتون وأورشليم، بيروت والأرز، ضفاف الرافدين، قصب أور في حضارة سومر جنوب العراق، لما قبل أكثر من ستة آلاف سنة قبل الميلاد.

وتضعنا ليلى كوركيس عبر رمزها السومري استخداماً وإعلاناً خفياً، بأن قصائدها قد بلغت سن الرشد أيضاً!.. راحت تبذل جهداً حقيقياً في تأثيث قصائدها برموز حضارة نينوى، رموز حضارات بابل وآشور وأكد وسومر والتنوع في فضاءات هائلة: الوطن وفيض العاطفة!..

احتياج من نوع خاص للغة العاطفة والفصول الأربعة والرياح والشك، الإحساس بالفراغ العاطفي في وطن مشدود مزدحم بالوجوه والحكايات والأساطير والضوء والحضارة!..

أربع وعشرون قصيدة دافقة بالرغبة والاشتهاء الجميل، في هناك هنا وأنا، شفافية السحر عند اللون الأبيض والحزن الأبيض، المطر والحصان وثمة اقتراب ما بين اغتراب الذات، ذات الدرب وحصاد لمواسم وفيرة تعرضت لضرر متعمد.. لم تعد بحاجة لموسم حصاد جديد.

في الكثير من هذه القصائد استمرت الشاعرة في استخدام الفلسفة:

دفنتُ الجمر في رمادي

تدحرج قلبي تحت رمال الصحراء

ضاجعت الأساطير في مماتي (من قصيدة "لأنني أنثى")

التقيتُهُ بعد تجعدِ الفصول

نسيتُ أنه قد نسي (من قصيدة "لقاء منسي")

من أنتَ ليرتديكَ جسدي إعصاراً

ويُرَقِّط السفرُ سمائي

بعواصف ترحالِكَ (من قصيدة "إعصار")

دجالون

يغسلون وجه الشمس

بأدعية كاذبة

...

هنا خطوات ثقيلة

على دروب غريبة

ليست لنا (من قصيدة "هناك.. هنا.. وأنا" عنوان الديوان)

تلك هي التفاتتكَ

يحلو لكَ أن تجعلها عابرة

حدقة تصوبها على عنقي

وأخرى تحط على أصابع مرتعشة (من قصيدة "أطلال عائمة")

كيف لم أعرف أنكَ النسيان

وروحه الساخطة

في سكون القبور (من قصيدة "كيف يموت الموت")

أراكَ تركض إلى الوراء

والموج يصفع قامتكَ (من قصيدة "بين الفاصلة ونهاية السطر")

يبدو أن ثمة صرخة وراء هذه القصائد الجميلة الرافضة لنزعة الخنوع الأبدي ودعوة للارتقاء بكيان المرأة وجسدها.. وبهذا استطاعت ليلى كوركيس أن تسجل حضوراً متميزاً مقتحمةً بوابات الإبداع الذكوري وهي محاولة جادة وجريئة لعودة رقي الأدب الأنثوي. ليلى كوركيس ارتقت بثقافة المرأة وقصيدة الأنثى المتوقدة كياناً، وطناً وإلهاماً.

وارتقت بـ"هناك.. هنا.. وأنا" و.. بلغت قصيدتها سن الرشد!..

في «هناك..هنا..وأنا» تمتلك ليلى كوركيس قوة كاشفة انبثقت من رؤية سرية أقل ما تطمح إليه صور الإبقاء على الصراع حية!.. صراع ما بين الظلمة والنور.

قصائدها في هذه المجموعة الجديدة إنارة للذات بموقد لخلق مهارة في الكشف والتنقيب. سياق محدود التناول اختارته ليلى ممارسة وتجربة في النقد التأويلي فارتقت بمتن قصائدها بتفسيرات وتنظيرات وصولاً لمجاورة خلاقة بين جمرة القصيدة وأصابع تناولها وتوظيف ممارسة «المحرم» و«المقصي» وإدخالهما مذهباً فنياً في التشكيل الشعري ولوحة القصيدة!..

* * *

يبدو أن ثمة صرخة وراء هذه القصائد الجميلة الرافضة لنزعة الخنوع الأبدي ودعوة للارتقاء بكيان المرأة وجسدها.. وبهذا استطاعت ليلى كوركيس أن تسجل حضوراً متميزاً مقتحمةً بوابات الإبداع الذكوري وهي محاولة جادة وجريئة لعودة رقي الأدب الأنثوي. ليلى كوركيس ارتقت بثقافة المرأة وقصيدة الأنثى المتوقدة كياناً، وطناً وإلهاماً.

وارتقت بـ«هناك.. هنا.. وأنا» و.. بلغت قصيدتها سن الرشد!..

ISBN 978-9953-71-517-9